أثرُ الشِّعْرِ المَوضُوعِ في القَوْلِ بِشِعْرِيَّةِ القُرْآنِ قَدِيمًا وحَدِيثا

د. كيان أحمد حازم

جامعة بغداد/ كلِّيَّة الآداب

Artificial Verse & Ancient and RecentClaims that Qur'anis Poetry

Dr. Keyan Ahmed Hazim
College of Arts / Baghdad University

مُلَخَّصُ البحثِ

مِن مَوضوعاتِ البَحثِ العِلميِّ ما تتداخَلُ فيها فُروعٌ عِلميَّةٌ مُتَعــدِّدَةُ الاختِصاصــاتِ. ومِنها ما يَدْرُسُ أَثَرَ ما ثبتَ عَدَمُ صِحَّةِ نَقْلِهِ في الذَّهابِ إلى إحْدَى وِجهَتَيْنِ تَؤُولانِ إلى مَآلٍ واحدٍ هوَ اعتِقادُ بَشَرِيَّةِ القُرْآنِ؛ فإحدَى الوِجهَتَيْنِ هيَ أَنَّ القُرآنَ والشِّعْرَ جنسٌ لُغَويٌّ واحِــدٌ؛ والوِجهَةُ الأُخرَى هيَ أَنَّ القُرآنَ قَد استَمَدَّ مِن الشِّعْرِ الجاهليِّ الكثيــرَ مِــن الموضــوعاتِ والأَفكارِ. فَتَتَداخَلُ في دراسةِ هذا الموضوعِ ثلاثَةُ أَفْرُعٍ بَحْثِيَّةٌ؛ يُعْنَى أَوَّلُها بِالشِّعْرِ وتَمحيصِ نَقْلِهِ؛ وثانيها بِالقُرْآنِ الكَرِيمِ وتَفْسيرِهِ؛ وثالِثُها بِالاعتِقادِ وإلهِيَّةِ مَصْدَرِهِ. وقَد جَعَلْتُ البَحثَ في مَبْحَثَيْنِ؛ خَصَّصْتُ أَوَّلَهُما لِمُحاوَلاتٍ قَديمَةٍ استَهدَفَت الطَّعْنَ في القُرآنِ مِن طَريــقِ القَــولِ بِشِعريَّتِهِ أَو بِاقتِباسِهِ مِن الشِّعْرِ؛ ومَحَضْتُ ثانِيَهُما لِلتَّعريفِ بِمُحاوَلاتِ بَعــضِ المُستَشْــرِقِينَ حديثًا النَّيْلَ مِن القُرآنِ بِالتَّوَسُّلِ بِإحدَى الوِجْهَتَيْنِ المذكورتَيْنِ آنِفًا أَو بِالأُخرَى.

Abstract

Some research topics tend to contain various cognitive branches. Some of these branches study the effect of falsified traditions on holding an opinion that adopts one or another of two ways; the first holds that the holy Quran and the Arab poetry both belong to the same linguistic class; the second sees that the holy Quran had made use of the ancient poetry before Islam, both in topics and concepts.

MY paper is within this research framework. It is divided into two sections; the first is devoted to revealing the ancient trials to underestimate the holy Quran by holding that it belongs to the field called (poetics); the second is planned to present some late efforts that aimedat refuting the holy Quran by either of the above mentioned ways.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلِفَ البَحثُ العِلميُّ دِراسَةَ مَوضوعاتٍ تتداخَلُ فيها فُروعٌ عِلميَّةٌ مُتَعدِّدَةُ الاختِصاصاتِ. ومِن هذهِ الميادينِ البَحثِيَّةِ المَيدانُ الذي يَدْرُسُ أَثَرَ ما ثبتَ عَدَمُ صِحَّةِ نَقْلِهِ في تَبَنِّي وِجهَةِ النَّظَرِ التي تَذهَبُ إلى إحْدَى وِجهَتَيْنِ تَؤُولُ كِلتاهُما إلى مَآلٍ واحدٍ هوَ اعتِقادُ أَنَّ القُرْآنَ ليسَ مِن عِنْــدِ اللهِ؛ فإحدَى الوِجهَتَيْنِ هيَ أَنَّ القُرآنَ والشِّعْرَ جِنسٌ لُغَويٌّ واحِــدٌ مُتَّفِــقُ الأَعــرافِ؛ والوِجهَــةُ الأُخرَى هيَ أَنَّ القُرآنَ قَد اقتَبَسَ مِن الشِّعْرِ الجاهليِّ الكثيرَ مِن الموضوعاتِ والأَفكارِ وضَــمَّنَها في ما جاءَ بِهِ مِن آياتٍ. فمِن الواضِحِ أَنَّ هذا الميدانَ تَتَداخَلُ في دراستِهِ ثلاثَةُ أَفْــرُعٍ بَحْثِيَّــةٌ؛

يُعْنَى أَوَّلُها بِالشِّعْرِ وتَمحيصِ نَقْلِهِ؛ وثانيها بِالقُرْآنِ الكَريمِ وتَفْسيرِهِ؛ وثالِثُهـا بِالاعتِقـادِ وإلهِيَّـةِ مَصْدَرِهِ.

ولِما لِهذهِ الجُزْئِيَّةِ مِن أَهَمِّيَّةٍ، ولِكَوني لَم أَقِفْ على دِراسَةٍ أَو بَحْثٍ يُوَفِّيانِها حَظَّها مِـن النَّظَرِ، ارتأَيْتُ أَن أَدرُسَهاوأَن أُديرَ البَحثَ فيها على مَبْحَثَيْنِ تَعْقُبُهُما خاتِمَةٌ فَمَصـادِرُ الدِّراسَـةِ ومَراجِعُها. أَمّا أَوَّلُ المَبحَثَيْنِ فخَصَّصْتُهُ لِمُحاوَلاتٍ قَديمَةٍ استَهدَفَت الطَّعْنَ في القُرآنِ مِن طَريقِ القَولِ بِشِعريَّتِهِ أَو باقتِباسِهِ مِن الشِّعْرِ. وأَمّا المَبحَثُ الثّاني فمَحَضْتُهُ لِلتَّعريفِ بِمُحاوَلاتِ بَعـضِ المُستَشْرِقينَ حديثًا النَّيْلَ مِن القُرآنِ بِالتَّوَسُّلِ بِإحدَى الوِجْهَتَيْنِ المذكورتَيْنِ آنِفًا أَو بِالأُخرَى. فمِـن اللهِ التَّوفيقُ، وعليهِ الاتِّكالُ، وإليهِ الإنابَةُ.

المَبحثُ الأوَّلُ
الشِّعْرُ المَوضوعُ والقَولُ بِشِعْرِيَّةِ القُرآنِ

قَديمًا.

طَعَنَ بعضُ الملاحدةِ قَديمًا في القرآنِ العظيمِ مِن طريقِ القولِ بشعريَّتِهِ، وبِأنَّ نَظْمَهُ لا يَخْرُجُ عن أُطُرِ نَظمِ الشعرِ، فكانوا بذلكَ شَرَّ خَلَفٍ لِمَن سَبَقَهُم من المشـركينَ الأوائـلِ الـذينَ تذرَّعوا بهذهِ الذريعةِ – في جملةِ ما تذرَّعوا بهِ– للطعنِ في القرآنِ، والقولِ ببشـريَّةِ مَصـدَرِهِ، فكانَ مِمّا حكى القـرآنُ عـنهُم: ﴿ **بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ** ﴾[الأنبيـاء:٥]، و:﴿ **وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ** ﴾[الصـافّات:٣٦]، و:﴿ **أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ** ﴾[الطور:٣٠]. وكانَ رَدُّ القرآنِ عليهِم حاسِمًا؛ إذْ قالَ تعالى:﴿ **وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ** ﴾[يس:٦٩]، وقالَ:﴿ **وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ** ﴾[الحاقّة:٤١].

– القَولُ بِمُوافَقَةِ فَواصِلِ الآياتِ القُرآنِيَّةِ قَوافِيَ الشِّعْرِ:

لَمّا رَدَّ أهلُ العِلْمِ على أولئكَ الملاحِدَةِ بأنَّ نَظْمَ القرآنِ مُباينٌ لمعهودِ نَظمِ الشـعرِ، وأنَّ من أجلى آياتِ مباينَتِهِ لَهُ اختلافَ فواصِلِهِ وعدمَ اتِّفاقِها، ذكرَ الملاحِدَةُ أنَّ هذا لا يمنـعُ القـولَ بشعريَّةِ القرآنِ؛ إذْ وَرَدَ شِعْرٌ مختلِفُ القوافي، نحوُ قولِ الشاعرِ: [الطويل]

أَلا قَـدْ أَرَى إِن لَـم تَكُـنْ أُمُّ مَالِـكٍ	**بِمِلْـكِ يَـدِي أَنَّ الْبَقَـاءَ قَلِيـلُ**
رَأَى مِـن رَفِيقَيْـهِ جَفَـاءً، وَبَيْعُـهُ	**إِذَا قَـامَ يَبْتَـاعُ القِـلاصَ ذَمِـيمُ**
خَلِيلَيَّ خُـلاَّ وَاتْرُكَـا الرَّحْـلَ إِنَّنِـي	**بِمَهْلَكَـةٍ وَالْعَاقِبَـاتُ تَـدُورُ**

فَبَيْنَـــاهُ يَشْـــري رَحْلَـــهُ قَـــالَ قَائِـــلٌ لِمَـــنْ جَمَـــلٌ رِخْـــوُ المِـــلاطِ نَجِيـــبُ

فَكانَ مِمّا أَجابَ بِهِ أهلُ العِلْمِ عن ذلكَ قولُ أَبي بَكْرٍ الباقلاّنيِّ (ت٤٠٣هـ): "هذا شِـعْرٌ لا نعرفُهُ، وهوَ مجهولٌ، ولَعَلَّ قائلَهُ جَهِلَ وغَلِطَ، وظنَّ أنَّ هذهِ طريقةُ العربِ. وليسَ كذلكَ؛ بـل تَرْكُ قولِ الشعرِ خيرٌ من قولِهِ بقَوافٍ مختلفةٍ. وقد رُوِيَ أنَّ هـذهِ القصـيدةَ لاميَّـةٌ، ورُوِيَ أنَّ الراويَ صَحَّفَها فرواها بقوافٍ مختلفةٍ"[١].

وقالَ ابو الحسنِ الأخفشُ الأَوسَطُ (ت٢١٥هـ): "وسمِعْتُ الباءَ معَ اللامِ، والمـيمَ مـعَ الراءِ، كلُّ هذا في قصيدةٍ؛ قالَ الشاعرُ...[٢] وهذهِ القصيدةُ كلُّها على اللامِ، والذي أنشدَها عربيٌّ فصيحٌ لا يحتَشِمُ من إنشادِهِ كذا، ونَهَيْناهُ غيرَ مرَّةٍ فلَمْ يستَنْكِرْ ما يجيءُ بِهِ"[٣].

وبَعدَ أن ساقَ أبو الفتحِ بنُ جنِّي (ت٣٩٢هـ) الأَبياتَ المذكورةَ آنِفًا قالَ: "هكذا أنشـدَهُ أبو الحسنِ[٤]، وهوَ بعيدٌ؛ لأنَّ حُكْمَ الحروفِ المختلفةِ في الرَّوِيِّ أن يتقاربَ مخرجُها كما أنشـدَ سيبويهِ في كتابِ القَوافي. والذي وُجِدَ في شعرِ العُجَيْرِ السَّلُوليِّ: [الطويل]

فَبَاتَتْ هُمُومُ الصَّدْرِ شَـتَّى يَعُدْنَـهُ كَمَـا عِيـدَ شِـلْوٌ بِـالْعَرَاءِ قَتِيـلُ

فَبَيْنَاهُ يَشْـرِي رَحْلَـهُ قَـالَ قَائِـلٌ لِمَـن جَمَـلٌ رِخْـوُ المِـلاطِ ذَلُـولُ

مُحَلَّـى بِـأَطْوَاقِ عِتَـاقٍ كَأَنَّهَـا بَقَايَـا لُجَـيْنٍ جَرْسُـهُنَّ صَـلِيلُ

أهـ. وقالَ صاحبُ (العُباب)[٥]: البيتُ للعُجَيْرِ السَّلُوليِّ، ويُرْوَى للمُخَلَّبِ الهِلالـيِّ، وهوَ موجودٌ في أشعارِهِما، والقطعةُ لاميَّةٌ. ووقعَ في كتابِ سيبويهِ (نجيبُ) بدلَ (ذلولُ)، وتَبِعَهُ النحاةُ على التحريفِ. وهيَ قطعةٌ غرّاءُ. أهـ"[٦].

وقالَ أبو محمّدٍ الأَعرابيُّ المُلَقَّبُ بِالأَسْوَدِ الغُنْدِجانيِّ (كانَ حَيًّا سنةَ ٤٣٠هـ): "قالَ ابـنُ السِّيرافيِّ[٧]: قالَ العُجَيْرُ السَّلُوليُّ: [الطويل]:

فَبَاتَتْ هُمُومُ الصَّدْرِ شَـتَّى يَعُدْنَـهُ كَمَـا عِيـدَ شِـلْوٌ بِـالْعَرَاءِ قَتِيـلُ

فَبَيْنَاهُ يَشْـرِي رَحْلَـهُ قَـالَ قَائِـلٌ لِمَـن جَمَـلٌ رِخْـوُ المِـلاطِ ذَلُـولُ

مُحَلَّـى بِـأَطْوَاقِ عِتَـاقٍ كَأَنَّهَـا بَقَايَـا لُجَـيْنٍ جَرْسُـهُنَّ صَـلِيلُ

... قالَ[٨]: وما هذا الشِّعرُ للعُجَيْرِ السَّلوليِّ، ولا الأبياتُ مستويةَ النِّظامِ، بل الصـوابُ أنَّها للِمُخَلَّبِ الهلاليِّ... و... ليسَ في الأرضِ بدويٌّ إلاّ وهو يحفظُ هذه القصيدةَ:... [الطويل]

شَكَا مِن رَّفِيقَيْـهِ الجَفَـاءَ وَنَقْـدُهُ إِذَا قَـامَ يَسْـتَامُ الرِّكَـابَ قَلِيـلُ

فَبَيْنَاهُ يَشْـرِي رَحْلَـهُ قَـالَ قَائِـلٌ لِمَـنْ جَمَـلٌ رِخْـوُ المِـلاطِ ذَلُـولُ

مُحَلَّـــى بِـــأَطْوَاقِ عِتَـــاقٍ تَرُشُّـــهُ أَهِلَّـــــةُ جِـــــنٍّ بَيْـــــنَهُنَّ فُصُـــــولُ

فَهَلَّلَ حِينًا ثُمَّ رَاحَ بِنِضْوِهِوَقَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ أُفُولُ"[٩].

وقالَ عبدُ القادرِ البغداديُّ (ت١٠٩٣هـ): "و(النَّجيبُ): الجيِّدُ الأصلِ. والصوابُ بدلهُ: (ذَلولُ)؛ فإنَّ القصيدةَ لاميَّةٌ؛ قالَ ابنُ خلفٍ: وهذا البيتُ قد وقعَ صدرُهُ في أكثرِ نُسَخِ كتابِ سيبويهِ، وأنشدَهُ أبو الحسنِ الأخفشُ: (رِخْوُ الملاطِ نَجيبُ) بالباءِ، وأنشدَهُ أيضًا في كتابِ (القوافي) كذا... وقد سلَكَ العُجَيْرُ السَّلوليُّ طريقةَ المخلّبِ الهلاليِّ، وأدرجَ معانيَ قطعتِهِ في شعرِهِ، فقالَ: [الطويل]

أَلا قَـدْ أَرَى إِن لَـمْ تَكُـنْ أُمُّ خَالِـدٍ بِمِلْـــكِ يَـــدِي أَنَّ الْبَقَـــاءَ قَلِيـــلُ

وساقَ هذا المساقَ حتّى قالَ بعدَ سبعةِ أبياتٍ:

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَـهُ قَـالَ قَائِـلٌ لِمَـــنْ جَمَـــلٌ رِسْـــلُ المِـــلاطِ طَوِيـــلُ

كذا في شعرِ العُجَيْرِ: (رَسْلُ المِلاطِ طويلُ)، فعُلِمَ أنَّ السَّبقَ للمخلَّبِ الهلاليِّ"[١٠].

- القَوْلُ بِاقتِباسِ القُرآنِ مِن الشِّعْرِ:

قد عُلِمَ أنَّ اللهَ تعالى نفَى الشِّعرَ عن القرآنِ وعن النبيِّ ﷺ؛ فقالَ: ﴿ **وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ** ﴾[يس:٦٩]، وقالَ في ذمِّ الشعراءِ: ﴿ **وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾** ﴾[الشعراء:٢٢٤-٢٢٥] إلى آخرِ ما وصفَهُم بهِ في هذهِ الآياتِ، وقالَ: ﴿ **وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ** ﴾[الحاقة:٤١]. "وهذا يدُلُّ على أنَّ ما حكاهُ عن الكفّارِ من قولِهم: إنَّهُ شاعرٌ، وإنَّ هذا شعرٌ، لا بُدَّ من أن يكونَ محمولاً على أنَّهُم نسبوهُ إلى أنَّهُ يَشْعُرُ بما لا يَشْعُرُ بهِ غيرُهُ من الصنعةِ اللطيفةِ في نَظمِ الكلامِ، لا أنَّهم نسبوهُ... إلى أنَّ الذي أتاهم بهِ هوَ من قبيلِ الشعرِ الذي يتعارفونَهُ على الأعاريضِ المحصورةِ المألوفةِ. أو يكونُ محمولاً على ما كانَ يُطْلِقُ الفلاسفةُ على حُكَمائِهم وأهلِ الفطنَةِ منهم في وصفِهِم إيّاهُم بالشِّعرِ؛ لِدِقَّةِ نظرِهِم في وجوهِ الكلامِ...، وإنْ كانَ ذلكَ البابُ خارجًا عمّا هوَ عندَ العربِ شعرٌ على الحقيقةِ. أو يكونُ محمولاً على أنَّهُ أطلقَهُ بعضُ الضعفاءِ منهم في معرفةِ أوزانِ الشعرِ، وهذا أبعدُ الاحتمالاتِ.

فإن زَعَمَ زاعمٌ أنَّهُ قد وَجَدَ في القرآنِ شِعرًا كثيرًا، فمن ذلكَ ما يزعمونَ أنَّهُ بيتٌ تامٌّ، أو أبياتٌ تامَّةٌ،...، ومِمّا يَزعُمونَ أنَّهُ بيتٌ: قولُهُ: ﴿ **وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ** ﴾[سبأ:١٣]، قالوا: هوَ من بحرِ الرَّمَلِ"[١١]، فالجوابُ عن هذهِ الدعوى من وجهَينِ؛ أحدُهُما في ردِّ مجملِ

الدعوَى، على وجهِ العُمومِ، والآخَرُ في رَدِّ ما قيلَ من أنَّ الآيةَ المعيَّنَـةَ بيـتٌ، علـى وجـهِ الخصوصِ.

فأمّا الجوابُ المتعلِّقُ بالوجهِ الأوّلِ، فيقالُ فيهِ: "إنَّ الفُصَحاءَ مـنهم حـينَ أُوردَ علـيهم القرآنُ، لو كانوا يعتقِدونَهُ شِعْرًا ولم يَرَوْهُ خارجًا عن أساليبِ كلامِهم، لَبادَروا إلى معارضَـتِهِ؛ لأنَّ الشعرَ مسخَّرٌ لهم، مُسَهَّلٌ عليهم...، فلمّا لم نَرَهُم اشتغلوا بذلكَ... عُلِمَ أنَّهُم لم يعتقدوا فيـهِ شيئًا مِمّا يُقَدِّرُهُ الضعفاءُ في الصنعةِ"(١٢). ويقالُ أيضًا – على ما ذَكَرَ أهلُ العلـمِ–: "إنَّ البيـتَ الواحدَ وما كانَ على وزنِهِ لا يكونُ شعرًا، وأقَلُّ الشعرِ بيتانِ فَصاعِدًا... وقالوا أيضًـا: إنَّ مـا كانَ على وزنِ بيتينِ، إلاّ أنَّهُ يختلفُ وزنُهُما أو قافيَتُهُما فليسَ بشِعرٍ. ثمَّ منهم من قالَ: إنَّ الرَّجَزَ ليسَ بِشِعرٍ أصلاً، لا سيَّما إذا كانَ مشطورًا أو منهوكًا(١٣)، وكذلكَ ما كـانَ يقارِبُـهُ فـي قلَّـةِ الأَجزاءِ، وعلى هذا يَسقُطُ السؤالُ. ثمَّ يقولونَ: إنَّ الشعرَ إنّما يُطلَقُ متى قَصَدَ القاصدُ إليهِ علـى الطريقِ الذي يتعمَّدُ ويسلكُ، ولا يَصِحُّ أن يتَّفِقَ مِثْلُهُ إلاّ من الشعراءِ... وقد قيـلَ: إنَّ أقـلَّ مـا يكونُ منهُ شعرًا أربعةُ أبياتٍ، بعدَ أنْ تَتَّفِقَ قوافيها، ولم يتَّفِقْ ذلكَ في القرآنِ بحـالٍ، فأمّـا دونَ أربعةِ أبياتٍ منهُ أو ما يجري مجراهُ في قِلَّةِ الكلماتِ، فليسَ بِشِعرٍ"(١٤).

وأمّا الجوابُ المتعلِّقُ بردِّ زَعمِ أنَّ قولَهُ تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ شِعرٌ، فلا بُدَّ من أن يُسْبَقَ بما يُوضِحُ أصولَ هذهِ الدعوى وتداعياتِها، ليَتَّضِحَ الجوابُ اتِّضاحًا لا يبقـى معَهُ حُجَّةٌ لزاعمٍ، ولا دليلٌ لناقِمٍ.

والحقُّ أنَّ مبدأَ هذهِ الدعوى المزعومةِ إنّما كانَ من الزَّنادقةِ؛ فقد زعموا أنَّ قولَهُ تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾[سبأ:١٣] ما هوَ إلاّ تَمَثُّلٌ حَرْفِيٌّ لبيتِ امرئِ القيسِ: [الرمل]

وَجِفَـــانٍ كَـــالْجَوَابِي وَقُـــدُورٍ رَاسِـــيَات

ومعلومٌ لكُلِّ مَن عانَى النظرَ في ديوانِ امرئِ القيسِ وشِعرِهِ أنَّهُ لا يُمكِنُ أن يكونَ قَـد نطقَ بمثلِ هذا الشِّعرِ، ولا أن يكونَ قَد قالَ ما هوَ قريبٌ منهُ.

وقد كانَ من الآثارِ السيِّئَةِ لتلكمُ الدَّعْوَى وتداعياتِها الخطيـرةِ أن وَجَـدَتْ لهـا آذانًـا مُصْغِيَةً، ونصيبًا مفروضًا في بعضِ كتبِ البلاغةِ المعتبرةِ عندَ أهلِ العلمِ؛ إذ تَناولَها ابـنُ أبـي الإصبعِ المِصريُّ (ت٦٥٤هـ) عندَ كلامِهِ على ما أَسماهُ (باب الحلّ)؛ إذ قالَ مُعَرِّفًا هذا البابَ: "وهوَ أنْ يَعمِدَ الكاتبُ إلى شِعْرٍ ليَحُلَّ منهُ عقدَ الوزنِ فيُصَيِّرَهُ مَنثورًا... ومن ذلكَ فـي الكتـابِ العزيزِ: قولُهُ تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾[سبأ:١٣]؛ فإنَّ ذلكَ حَلُّ قولِ امرئِ القيسِ: [الرمل]

وَقُـــــــدُورٍ رَّاسِـــــــيَاتٍ وَجِفَـــــــانٍ كَـــــــالْجَوَابِ"(١٥).

غيرَ أنَّ الإنصافَ يقتضينا أن نشهَدَ لابنِ أبي الإصبعِ بأنَّهُ نَقَلَ عن أهلِ العلمِ ما يُفيدُ رَدَّ هذا الزعمِ؛ فقالَ– بعدَ ما سَبَقَ نقلُهُ عنهُ–: "على أنَّ بعضَ الرُّواةِ ذكَـرَ أنَّـهُ وَضَـعَهُ بعـضُ الزنادقةِ، وتكلَّمَ على الآيةِ الكريمةِ، وأنَّ امرأَ القيسِ لم يَصِحَّ أنَّهُ تلفَّظَ بِهِ، واللهُ أعلمُ"(١٦).

المَبحث الثاني
احتِجاجُ بعضِ المُستشرقينَ حديثًا بالشِّعرِ الموضوعِ لإثباتِ شِعريَّةِ القُرآنِ

لم تختفِ نزعةُ محاولةِ إثباتِ وجوهِ شَبَهٍ بينَ نصوصِ القرآنِ ونصوصِ الشعرِ الجاهليِّ أو تَخِفَّ بِتَقَدُّمِ الزَّمَنِ، بل استمرَّتْ حتّى عصورِنا المتأخِّرةِ، وإنْ ظَهَرَتْ بأثوابٍ جديـدةٍ برّاقَـةٍ هيَ أثوابُ البحثِ العلميِّ المتجرِّدِ، ولاسيَّما على أيدي المستشرقينَ وأذنابِهِم من المستغربينَ.

- القَولُ بإمكانِ اقتباسِ القُرآنِ مِن شِعرِ امرئِ القَيْسِ:

يُمْكِنُ عَدُّ مُحاولَةِ القسِّ المستشرقِ تيسدالTisdallإلماحًا إلى إمكانِ أن يَقتَـبِسَ القُـرآنُ مِن شِعْرِ الجاهِلِيِّينَ؛ فقد ذَكَرَ أنَّهُ عثَرَ على أبياتٍ لامرئِ القيسِ في إحدى مخطوطـاتِ ديوانِـهِ، يقولُ فيها: [الرمل التامّ]

دَنَـــتِ السَّـــاعَةُ وَانْشَـــقَّ الْقَمَـــرْ	**عَـــنْ غَـــزَالٍ صَـــادَ قَلْبِـــي ونَفَـــرْ**
أَحْـــوَرٌ قَـــدْ حِـــرْتُ فِـــي أَوْصَـــافِهِ	**نَـــاعِسُ الطَّـــرْفِ بِعَيْنَيْـــهِ حَـــوَرْ**
مَـــرَّ يَـــوْمَ الْعِيـــدِ فِـــي زِينَتِـــه	**فَرَمَـــــانِي فَتَعَـــــاطَى فَعَقَـــــرْ**
بِسِـــهَامٍ مِـــن لِّحَـــاظٍ فَاتِـــكٍ	**تَرَكَتْنِـــي كَهَشِـــيمِ المُحْتَظِـــرْ**
وَإِذَا مَـــا غَـــابَ عَنِّـــي سَـــاعَةً	**كَانَـــتِ السَّـــاعَةُ أَدْهَـــى وَأَمَـــرّْ**
كُتِـــبَ الحُسْـــنُ عَلَـــى وَجْنَتِـــهِ	**بِسَـــحِيقِ المِسْـــكِ سَـــطْرًا مُخْتَصَـــرْ**
عَادَةُ الأَقْمَـــارِ تَسْـــرِي فِـــي الـــدُّجَى	**فَرَأَيْـــتُ اللَّيْـــلَ يَسْـــرِي بِـــالْقَمَرْ**
بِالضُّـــحَى وَاللَّيْـــلِ مِـــنْ طُرَّتِـــهِ	**فَرقُـــهُ ذا النُّـــورِ كَـــمْ شَـــيءٍ زَهَـــرْ**
قُلْـــتُ إِذْ شَـــقَّ الْعَـــذَارُ خَـــدَّهُ	**دَنَـــتِ السَّـــاعَةُ وَانْشَـــقَّ الْقَمَـــرْ**

ثُمَّ أَوْرَدَ أبياتًا أُخرى كذلكَ، هيَ: [السريع التامّ]

أَقْبَــلَ وَالْعُشَّــاقُ مِــنْ خَلْفِــهِ كَــأَنَّهُمْ مِــنْ حَــدَبٍ يَنْسِــلُونْ
وَجَاءَ يَــوْمَ الْعِيــدِ فِــي زِينَتِــه لِمِثْــلِ ذا فَلْيَعْمَــلِ الْعَــامِلُونْ

وأَبْدَىتيسدالُ ابتهاجَهُ بعُثورِهِ في هذهِ الأَبياتِ على عِباراتٍ مِن مِثل: "فَرَماني فَتَعــاطى فَعَقَر"[١٧]، و"تركتني كهشيمِ المحتظِرِ"[١٨]، و"دنَت الساعَةُ وانشَقَّ القَمَر"[١٩]، و"كأَنَّهُمْ مِن حَــدَبٍ يَنْسِلون"[٢٠]، و"لِمِثْلِ ذا فَلْيَعمَلِ العامِلون"[٢١]، ورَجَّحَ نسْبَتَها إلى امرئِ القيسِ، لكِنَّهُ انتَهَى إلــى أَنَّهُ لو كانَت الأبياتُ من أبياتِ المُعَلَّقَةِ لأَمكَنَ القَولُ إنَّ محمَّدًا قد نقَلَ مِنها، لأنَّ مُعَلَّقَــةَ امْــرِئِ القَيْسِ هيَ إحدى المُعَلَّقاتِ في الكعبَةِ[٢٢]. ومِن أَجلِ التَّثَبُّتِ مِن نِسْبَةِ الأَبياتِ المذكورةِ آنِفًا إلــى امرِئِ القَيْسِ لَجَأَ إلى المستشرقِ تشارلز جيمس ليالCharles James Lyall الذي وَصَــفَهُبِأَنَّمِن العسيرِ أن تجِدَ رَجُلاً أكثرَ تأهيلاً منهُ فيما يخُصُّ الشعرَ العربيَّ القديمَ. وقَد عَبَّرَ ليال عن اتِّهامِهِ تلكَ الأَبياتَ، مُرَجِّحًا أَنّها ليستْ لامرِئِ القيسِ، لأسبابٍ تتعلَّقُ بالوزنِ والأسلوب[٢٣].

- القَوْل بمُشابَهَةِ آياتٍ مِن القُرآنِ بَعضَ الشِّعْرِ الجاهلِيِّ في الشَّكْلِ والمَضمون:

من أبرزِ من حامَ حولَ حِمى القُرْآنِ المَصونِ، بل وَقَعَ فيهِ، المستشرقُ الإنجليزيُّ ديفيد صموئيل مرجليوثDavid Samuel Margoliouth؛ فقد أَلَّفَ مقالةً عنوانُها: "أصولُ الشِّــعرِ العربيِّ"، مَزَجَ فيها "بينَ شَكِّهِ في الشعرِ الجاهليِّ وتعَصُّبِهِ ضدَّ الإسلامِ في أكثرَ من موطِن"[٢٤]؛ فهوَ يقولُ: "إنَّ أساليبَ الأَدَبِ العربيِّ، النثرِ المسجوعِ والشِّعرِ، يتضَمَّنُ كِلاهُما بَعضَ الشَّبَهِ مــعَ أُسلوبِ القرآنِ. هُناكَ آياتٌ في القرآنِ هيَ (نثرٌ مسجوعٌ موزونٌ)، ولا يُنكِــرُ ذلــكَ إلاّ أُولئــكَ المتعصِّبونَ جدًّا، يُقَدِّمُها القرآنُ في صُوَرٍ واضِحَةٍ مِن عِدَّةِ أَبْحُرٍ"[٢٥].

ومِن أَجلِ أَن يُبَرهِنَ مرجليوث على ما يَقولُ يَسُوقُ قصيدةً فيها ما يُشبِهُ ألفاظَ القــرآنِ ومَعانيَهُ، نسبَها إلى ورقةَ بنِ نوفلٍ أبو الفرجِ الأصفهانيُّ (ت٣٥٦هــ) بقَولِــهِ: "قــالَ الزبيــرُ: حدَّثَني عُثمانُ، عن الضحّاكِ بنِ عثمانَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي الزِّنادِ،قالَ: قالَ عــروةُ: كــانَ بِلالٌ لِــجاريَة من بني جُمَحٍ بنِ عَمرٍو، وكانوا يُعَذِّبونَهُ برمضاءِ مكّةَ: يُلْصِقونَ ظهرَهُ بالرمضاءِ لِيُشْرِكَ باللهِ، فيقولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ. فيَمُرُّ عليهِ ورقةُ بنُ نوفلٍ وهوَ على ذلكَ يقولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ، فيقــولُ ورقةُ بنُ نوفلٍ: أَحَدٌ أَحَدٌواللهِ يا بِلالُ... وقالَ ورقةُ بنُ نوفلٍ في ذلك: [البسيط]

لَقَدْ نَصَحْتُ لأَقْــوامٍ وَقُلْــتُ لَهُــمْ		أَنَــا النَّــذِيرُ فَــلا يَغْــرُرْكُمُ أَحَــدُ
لا تَعْبُــدُنَّ إِلَهًــا غَيْــرَ خــالِقِكُمْ		فَــإِنْ دعَــوْكُمْ فَقُولُــوا بَيْنَنَــا حَــدَدُ
سُبْحانَ ذِي الْعَرْشِ سُبْحانًا نَعُوذُ بِه		وَقَبْــلُ قَــدْ سَــبَّحَ الجُــودِيُّ والجَمَــدُ

مُسَخَّرٌ كُلُّ ما تَحْتَ السَّماءِ لَهُ		لا يَنبَغِي أن يُناوِي مُلْكَهُ أَحَدُ
لا شَيءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ		يَبْقَى الإلَهُ ويُودِي المالُ وَالْوَلَدُ
لم تُغْنِ عَنْ هُرْمُزٍ يَوْمًا خَزائِنُهُ		والخُلْدَ قَدْحاولَتْ عادٌ فَما خَلَدُوا
وَلا سُلَيْمان إذْ دَانَ الشُّعُوبُ لَهُ		والجِنُّ والإنْسُ تَجْرِي بَينَها البردُ"[٢٦].

وقد علَّقَ مرجليوث على هذهِ القصّةِ بقولِهِ: "إنَّ مؤلِّفَ كتابِ (الأغاني) – وهوَ مسلمٌ– يستشهدُ بقصيدَةٍ على أنَّها صحيحةٌ غيرُ منحولَةٍ قبلَ زمنِ النبيِّ محمّدٍ[٢٧]، فيها دعوةٌ لعبادةِ اللهِ خالقِهِم وحدَهُ، وهوَ الشاعرُ ورقةُ بنُ نوفلٍ أحدُ المبَشِّرينَ بالتوحيدِ. وبِبَساطَةٍ، فإنَّ هذهِ الحقيقةَ الواردةَ في القصيدةِ تناقِضُ القرآنَ من أنَّ المكِّيِّينَ لم يكن لهم منذرٌ قبل محمّدٍ[٢٨].وقد توقَّعَ قُدامُ بنُ قادمٍ (٤٠٠–٤٨٠م) في قصيدةٍ تحملُ اسمَهُ، تحذيراتِ القرآنِ في تفصيلاتٍ عدَّةٍ، وزعمَ أنَّهُ قد أُعطِيَ إرشادًا دينيًّا إلى قومِهِ، في شعورٍ إسلاميٍّ"[٢٩].

وقصّةُ ورقةَ وقصيدَتُهُ باطلَتانِ سندًا ومَتنًا؛ فقد "ضُعِّفَ هذا الحديثُ بأَنَّ ورقةَ ماتَ قبلَ مبعثِ النبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وبلالٌ ما عُذِّبَ إلاّ بعدَ أنْ أسلَمَ.وهوَ ضعيفُ الإسنادِ لأنَّهُ مُرسَلٌ، وعروةُ تابعيٌّ لم يُدْرِكْ عصرَ النبوَّةِ"[٣٠]. ومِمّا يزيدُ اليقينَ ببُطلانِ نسبةِ هذهِ الأبياتِ إلى ورقةَ بنِ نوفلٍ: أنَّ القصّةَ رُوِيَتْ عندَ غيرِ الأصفَهانيِّ من غيرِ تعرُّضٍ لذكرِ الأبياتِ المذكورةِ آنِفًا؛ فقد قالَ ابنُ إسحاقَ: "حدّثَني هشامُ بنُ عروةَ، عن أبيهِ، قالَ:كانَ ورقةُ بنُ نوفلٍ يمرُّ بهِ[٣١] وهوَ يُعَذَّبُ بذلكَ، وهوَ يقولُ: أحَدٌ أحَدٌ. فيقولُ: أحَدٌ أحَدٌ واللهِ يا بلالُ"[٣٢].

وقد لَحِظَ بعضُ الباحثينَ أنَّ "مرجليوث يعتمِدُ كثيرًا على رواياتٍ ضعيفَةٍ، وأخبارٍ تتضمّنُ مبالغاتٍ وأكاذيبَ للوصولِ إلى غرضِهِ الذي يريدُ، ويغُضُّ الطَّرْفَ عن الرِّواياتِ والآراءِ الصحيحةِ التي رواها ثقاتُ الرواةِ"[٣٣]. فالقضيَّةُ قضيَّةُ منهجٍ مُتَّبَعٍ، لا جُزئيَّةٍ من جزئيّاتِ البحثِ تُبْحَثُ معزولَةً عن سياقاتِها.

ومِن أَماراتِ بُطلانِ نسبةِ القصيدَةِ إلى ورقةَ بنِ نوفلٍ أنَّ البيتَ الثالثَ فيها أوردَهُ سيبويهِ في كتابِهِ عازيًا إيّاهُ إلى أُمَيَّةَ بنِ أبي الصَّلْتِ؛ إذ قالَ: "وقد جاءَ (سُبْحانَ) مُنَوَّنًا مُفْرَدًا في الشعْرِ؛ قالَ الشاعرُ، وهوَ أميَّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ: [البسيط]

سُبْحَانَهُ ثُـمَّ سُبْحَانًا يَعُودُ لَـهُ وَقَبْلَنَـا سَـبَّحَ الجُـودِيُّ والجُمُـدُ"[٣٤].

ويُزادُ على ما سبَقَ الرَّكاكةُ والضَّعْفُ في لغةِ معظمِ أبياتِ القصيدةِ وصياغَتِها، وهوَ أمرٌ يؤكِّدُ سقوطَ روايتِها وتلفيقَها.

أمّا ما ذكَرَهُ مرجليوث من أَنَّ ما في القصيدةِ من دعوةٍ لعبادةِ اللهِ وحدَهُ مناقِضٌ لِلقرآنِ الذي يُصرِّحُ بأنَّ المكِّيِّينَ لم يكُن لهُم مُنْذِرٌ قبلَ محمّدٍ ﷺ، ومُحاولَتُهُ– مِنْ ثَمَّ– ضربَ الكثيرِ من الشعرِ الجاهليِّ الذي وردَ فيهِ مِثْلُ هذهِ الإشاراتِ – فلا يَصلُحُ ذلكَ مُتَمَسَّكًا لَـــهُ فـــي مســـعاهُ الماكِرِ؛ إذْ إنَّهُ يخلطُ "عن قَصدٍ بينَ المبشِّرينَ بظهورِ نَبِيٍّ، المتوقِّعِينَ لذلكَ، وبينَ النبيِّ المُرسَلِ. وقد كانَ جمهورٌ من الجاهليِّينَ مُوَحِّدِينَ، على دينِ إبراهيمَ، عُرِفوا بالأَحنافِ، منهُم ورقـــةُ بـــنُ نوفلٍ، وزيدُ بنُ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ، وأميّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ، وغيرُهُم"[٣٥].

وما ذُكِرَ من منهجٍ لمرجليوث في الاحتجاجِ بالضعيفِ والشّاذِّ ينطبقُ تمامًا على مَوقِفِـــهِ مِن القصيدةِ المنسوبةِ إلى شاعرٍ لم يَرِدْ لَهُ ذِكْرٌ في أيِّ مصدرٍ عربيٍّ بينَ أيدينا، يُسَمّى قُدامَ بـــنَ قادمٍ. ويدَّعي مرجليوث أنَّهُ في هذهِ القصيدةِ يسبِقُ نُذُرَ القرآنِ في كثيرٍ من التفاصيلِ، وأنَّهُ دعـــا قومَهُ إلى الدِّينِ بالمعنى الإسلاميِّ. وأغلبُ الظنِّ أنَّ هذه القصيدةَ التي لم نهتدِ إلى قائلِها ولا إلى أبياتِها في أيِّ مصدرٍ أدبيٍّ أو تاريخيٍّ بينَ أيدينا، هيَ من تلفيقاتِ المستشرقينَ، ولا سيَّما أنَّهُـــم يجعلونَ تاريخَ قائلِها مُبكِّرًا جدًّا بينَ ٤٠٠م و٤٨٠م، أي بينَ اثنتينِ وعشرينَ ومئتي ســـنةٍواثنتينِ وأربعين ومئةِ سنةٍ قبلَ الهجرةِ، فيكونُ بذلكَ أقدمَ من امرئِ القيسِ وطبقتِهِ. وهو أمرٌ بعيدٌ عـــن التصديقِ بكُلِّ المقاييسِ العلميَّةِ؛ إذ كيفَ غابَ عِلْمُهُ عن علماءِ العربيَّةِ مـــن أمثـــالِ الأصـــمعيِّ والمفضَّلِ الضَّبِّيِّ وابنِ سلاّمٍ وابنِ قتيبةَ والجاحظِ وأضرابِهِمْ؟[٣٦].

– ما ادُّعِيَتْ مُشابَهَتُهُ القُرآنَ مِن شِعْرِ أُمَيَّةَ بنِ أَبي الصَّلْتِ:

مِن أبرَزِ الشعراءِ الذينَ لُفِّقَ الشِّعْرُ عليهِم، ونُحِلوا شِعْرَ غيرِهِم: الشاعِرُ المُخَضْرَمُ أُمَيَّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ الثقفيُّ، الذي كانَ في الجاهِلِيَّةِ "مِمّنْ طلبَ الدِّينَ، ونظرَ في الكتبِ. ويُقـــالُ: إنَّـــهُ مِمَّنْ دخلَ في النصرانيَّةِ. وأكثَرَ في شِعرِهِ مِن ذكرِ التوحيدِ والبعثِ يومَ القيامَةِ. وزعمَ الكلاباذيُّ أنَّهُ كانَ يهوديًّا"[٣٧]. وكانَ مِن الحُنَفاءِ "الذينَ قاموا يُحاولونَ البحثَ عن دينِ إبراهيمَ الصـــحيحِ، ويُنادونَ بالتوحيدِ المُجَرَّدِ، والتخلِّي عن تلكَ المفاسِدِ السائدَةِ، كالأصنامِ والأنصابِ ومـــا يتَّصِـــلُ بعِبادَتِها أو بالتَقَرُّبِ منها"[٣٨]، حتّى استحَقَّ أن يقولَ فيهِ الرسولُ ﷺ: "كادَ أُمَيَّةُ بنُ أبي الصَّـــلْتِ أن يُسْلِمَ"[٣٩]. وعن عمرِو بن الشريدِ، عن أبيه، قالَ: رَدِفْتُ رسولَ اللهِ ﷺيومًا، فقالَ: "هَل مَعَكَ مِن شعرِ أُمَيَّةَ بنِ أبي الصَّلْتِ شيئًا[٤٠]؟"، قلتُ: نعم. قالَ: "هيهِ". فأنشَدتُّهُ بيتًا فقالَ: "هيهِ". ثُـــمَّ أنشَدتُّهُ بيتًا، فقالَ: "هيهِ"، حتّى أنشَدتُّهُ مِئَةَ بيتٍ"[٤١]. وفي روايةٍ أُخرى أنَّ رسولَ اللهِ صـــلّى ﷺ قالَ بعدَ ذلكَ: "فَلَقَدْ كادَ يُسْلِمُ في شِعْرِهِ"[٤٢]. "ومَقصودُ الحديثِ:أنَّ النبيَّ ﷺاستحسَنَ شِعْرَ أُمَيَّـــةَ، واستَزادَ مِنْ إنشادِهِ؛ لِما فيهِ مِن الإقرارِ بالوحدانيَّةِ والبعثِ"[٤٣]."وعاشَ أُمَيَّةُ حتّـــى أدركَ وقعَـــةَ

بدرٍ، ورثى مَن قُتِلَ فيها مِن الكُفّارِ"[٤٤]،ولم يُسلِمْ، حَسَدًا وكِبْرًا؛ إذ إنَّهُ كانَ يرجو أن يكونَ هوَ النبيَّ المرتقَبَ الذي قرأَ عنهُ في الكتبِ، فلمّا علِمَ أنَّهُ محمّدٌ ﷺ، أبى واسْتَكْبَرَ وكانَ مِن الكافِرينَ[٤٥].

ولَمّا امتازَ شعرُ أُميَّةَ بوفرَةِ المعاني الدينيَّةِ فيهِ، سَهُلَ على الوَضّاعينَ والناحِلينَ إلصاقُ الكثيرِ من الشعرِ الإسلاميِّ الوعظيِّ بشعرِهِ، ونِسْبَتُهُ إليهِ، لِتَشابُهِ المضامينِ، وتقارُبِ المعاني. "ففي (اللسانِ)[٤٦]، و(التاج)[٤٧]، نُسِبَ إلى أُميَّةَ هذا البيتُ: [البسيط]

قَالَتْ لأُخْتٍ لَهُ قُصِّيهِ عَنْ جُنُبٍ وَكَيْفَ تَقْفُو بِلا سَهْلٍ وَلا جَدَدِ

وهوَ يشيرُ إلى قصَّةِ موسى عليه السلام، والتِقاطِ آلِ فرعونَ لَهُ مِن النهرِ، ثُمَّ تَتَبُّعِ أُختِهِ لَهُ عن بُعدٍ وهُم لا يَشعرونَ. وبهذا المعنى واللفظِ يبدو نَظْمًا لآيَةِ سورَةِ القصَصِ: ﴿ **وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾[القصص:١١]. ولذلكَ نشُكُّ في البيتِ ونُرَجِّحُ نَحلَهُ لأُميّةَ.

ونسَبَ أبو حيّانَ[٤٨] والسيوطيُّ[٤٩] إلى أُميّةَ هذا البيتَ: [الكامل]

إنَّ الحَدائِقَ في الجِنانِ ظَلَيلَةٌفِيهَا الكَواعِبُ سِدْرُها مَخْضُودُ

وفيهِ عددٌ مِن الصُّوَرِ القرآنيّةِ للجنّةِ؛ فالجِنانُ الظليلَةُ، والسِّدْرُ المخضودُ، وَرَدَتْ في الآياتِ: ﴿ **وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾** ﴾[الواقعة:٢٧-٣٠]. والكواعِبُ جاءَ ذِكرُها في حديثِ الجنّةِ والحدائق في الآياتِ: ﴿ **إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾** ﴾[النبأ:٣١-٣٣]. وبذلكَ فالبيتُ يجمَعُ بينَ عددٍ مِن الصُّوَرِ القرآنيّةِ للجَنَّةِ، وهذا يدعو إلى الشكِّ فيهِ وترجيحِ نحلِهِ على أُميّةَ؛ لأنَّ جمعَ هذهِ الصُّوَرِ في بيتٍ واحدٍ لا يتأتّى إلاّ لِشاعرٍ إسلاميٍّ، وَعى تِلكَ المعانيَ والصورَ وَعْيًا جعلَهُ يُحسِنُ صياغَتَها في بيتٍ واحدٍ مِن الشعرِ.

ونَسَبَ ابنُ فارسٍ[٥٠] إلى أُميّةَ جُزْءًا مِن بيتٍ، هوَ:

الخَالِقُ البَارِئُ المصَوِّرُ

وهذا الجزءُ نظمٌ حرفيٌّ للآيةِ: ﴿ **هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ** ﴾[الحشر:٢٤]...وبذلكَ فالبيتُ منحولٌ على أُميّةَ.

ونَسَبَ الرازيُّ[٥١] بيتينِ إلى أُميّةَ؛ أحدُهُما: [الكامل]

وَبِإِذْنِهِ سَجَدوا لآدَمَ كُلُّهُمْ إلاّ لَعِينًا خاطِئًا مَدْحُورَا

والآخر: [المتقارب التامّ]

وَقَـــالَ لإبلـــيسَ رَبُّ العِبـــادِ أنِ اخْـــرُجْ دَحِيـــرًا لَعِينًـــا ذَؤُومـــا

وهُما أشبَهُ بنظمٍ لعددٍ مِن الآياتِ التي تحدَّثَتْ عن خبرِ إبليسَ وعدَمِ سجودِهِ لآدَمَ، ثُـــمَّ طردِهِ ولعنَتِهِ، ومِن ذلكَ قولُـــهُ تعـــالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴾[الأعراف:١٠]، وقولُهُ تعالى: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[الأعراف:١٨]، وقولُهُ: ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾[الحجر:٣٤-٣٥]، وهذا كلُّهُ يتَّهِمُ البيتين، ويؤيِّدُ أن يكونا منحولَين على أُميّةَ...

ونسَبَ ابنُ الأنباريِّ[٥٢] إلى أُميَّةَ هذين البيتين: [الكامل]

الحمـــدُ للهِ الـــذي لَـــم يَتَّخِـــذْ ولَـــدًا وقَـــدَّرَ خَلْقَـــهُ تَقْـــدِيرا

وعَنا لَـــهُ وَجْهِـــي وَخَلْقِـــي كُلُّـــهُ فـــي الخاشِـــعينَ لِوَجهِـــهِ مَشْـــكُورا

... الأبياتُ أشبَهُ بنَظمٍ لآياتٍ معيَّنَةٍ، مثلِ آيةِ (الإســـراء): ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾[الإسراء: ١١١]، وآيةِ (الفرقان): ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾[الفرقان:٢]، وآيةِ (طه): ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ ﴾[طه:١١١]. وهذا يؤكِّدُ أن يكونَ البيْتانِ قد نُحِلا على أُميّةَ في عصرٍ إسلاميٍّ، تأثَّرَ فيهِ صـــاحِبُهُما بـــالقرآنِ الكريمِ والمبادئِ الأساسيّةِ والعقيدَةِ الإسلاميّةِ.

وفي (جمهرة أشعار العرب)[٥٣] نُسِبَ إلى أُميَّةَ هذا البيت: [الكامل]

كَيْفَ الجحُودُ وإنَّما خُلِـقَ الفتَـى مِنْ طِينِ صَلْصـالٍ لَـــهُ فَخَّـــارُ

.... أمّا عجـــزُ البيـــتِ فهـــوَ ظـــلٌّ لآيـــةِ ســـورةِ (الـــرحمن): ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾[الرحمن:١٤]، ولعلَّهُ لم يستَطِعْ للوَزنِ أنْ يقولَ: (كالفَخّار)، فقالَ: (لهُ فخّارُ). ومِـــن ثَـــمَّ نشُكُّ في هذا البيتِ، ونُرَجِّحُ نحلَهُ على أُميّةَ.

ونسَبَ الطبريُّ[٥٤] إلى أُميّةَ هذا البيتَ: [البسيط]

يَدْعونَ بالوَيْلِ فيها لا خَلاقَ لَهُـــمْ إلاّ سَـــرابيلُ مِـــنْ قِطْـــرٍ وأَغْـــلالِ

ثُمَّ رواهُ السيوطيُّ ونسَبَهُ إلى أُميَّةَ أيضًا[٥٥]. والغريبُ أنَّ الطبريَّ والسيوطيَّ يستشهِدانِ بالبيْتِ على لُغَةِ القرآنِ، معَ أنَّ البيتَ مِن المُرَجَّحِ نَحْلُهُ؛ لِما فيهِ مِن إلحاحٍ على معـــاني القـــرآنِ وأسلوبِهِ؛ ففي صَدرِهِ إخبارٌ عَمّا يقولُـــهُ أصحابُ النارِ كما وردَ في آياتٍ كثيرَةٍ، وفـــي ســـائرِ البيتِ اقتباسٌ واضحٌ مِن آياتٍ متعدِّدَةٍ أخرى؛ ففي سورةِ (الأنبياء): ﴿ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤﴾

﴾[الأنبياء:١٤]...، وفي سورةِ (البقرة): ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾[البقرة:٢٠٠]، وفي سورةِ (إبراهيم): ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾[إبراهيم:٥٠]... وهذا كلُّهُ يبعَثُ على الشكِّ في البيتِ، ويُرَجِّحُ نَحلَهُ؛ لأنَّهُ يبدو مِن صُنْعِ رَجُلٍ إسلاميٍّ تشبَّعَ بروحِ القرآنِ، ولُغتِهِ، وأسلوبِهِ، ومعانيهِ"[٥٦].

وقد استغلَّ المستشرقونَ الحاقدونَ على الإسلامِ تلكَ الأشعارَ المنحولَةَ، والمَشكوكَ في نسبَتِها إلى أُميّةَ؛ فحملَهُم التعصُّبُ على ادِّعاءِ أنَّ القرآنَ مِن صُنعِ محمَّدٍ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ، وأنَّهُ استمَدَّ مِن الحُنَفاءِ، أو أنَّهُ وإيّاهُم استمَدُّوا مِن مَصادِرَ واحِدَةٍ. أمّا نُقّادُنا، فمُعظَمُهُم ذهبَ إلى أَخذِ أُميَّةَ عن القرآنِ تحدِّيًا أو اقتِباسًا.

وبذلكَ أصبحَ لدينا ثلاثَةُ آراءٍ مُختَلِفَةٌ؛ أوَّلُها: أنَّ أُميَّةَ هوَ الذي أَخَذَ عَن القرآنِ؛ وثانيها: أنَّ القرآنَ هوَ الذي أخذَ عَن أُميَّةَ، وأنَّ أُميَّةَ مِن مَصادِرِهِ الرئيسَةِ؛ وثالِثُها: أنَّ أُميَّةَ والقرآنَ قد أَخَذا كِلاهُما عَن مصادِرَ واحِدَةٍ، تعودُ إلى الأفكارِ الدينيَّةِ التي كانتْ سائدةً قبلَ الإسلامِ.

والواقِعُ يَشهَدُبأنَّ هذهِ الآراءَ جميعًا لا تعتمِدُ على دليلٍ ثابتٍ أو علميٍّ البَتَّةَ، وبأنَّ كلَّ ما تقومُ عليهِ ضربٌ من الظنِّ أو الاحتمالِ، وليسَ هذا مِن الأدلّةِ العلميّةِ في شَيْءٍ.

فأصحابُ الرأيِ الأوَّلِ يفترِضونَ أنَّ أُميّةَ عارضَ القرآنَ متحدِّيًا أو مقتَبِسًا، ولكِنَّ مَن يحاوِلُ الاقتباسَ أو محاكاةَ كتابٍ معيَّنٍ لا يمكِنُ أن ينطِقَ بمادَّتِهِ وأسلوبِهِ ودقائقِ عباراتِهِ في سَرِقَةٍ واضِحَةٍ مكشوفَةٍ. ولَمّا كانَ في الشِّعرِ المُضافِ إلى أُميّةَ إغارَةٌ واضِحَةٌ على أسلوبِ القرآنِ ولغتِهِ ومعانيهِ، ونقلٌ صريحٌ لبعضِ الآياتِ، ونظمٌ لأقسامٍ منها، كانَ في جَميعِ ذلكَ إشارَةٌ إلى أنَّ هذا الشعرَ ليسَ من نظمِ شاعرٍ يحاوِلُ التحدِّيَ والاقتباسَ، وإنّما هوَ مِن صُنعِ راويَةٍ أو قصّاصٍ يقتَبِسُ مِن القرآنِ، إرضاءً لمشاعرِ العامّةِ مِن الناسِ. ثُمَّ إنَّ أُميّةَ كانَتْ عَلاقَتُهُ بالإسلامِ عَلاقَةَ عنادٍ ومُكابرةٍ، واستصغارٍلِشأنِ محمّدٍ ﷺ، ورجُلٌ هذا أمرُهُ لا بُدَّ أن يَجِدَ غضاضَةً في أن يستَقِيَ مادّةَ شعرِهِ مِن أقوالِ (غُلامٍ مِن بني عبدِ مَنافٍ) – على حدِّ تعبيرِهِ–[٥٧]، ولو أرادَ أن يتحدّى ويشنِّعَ على صاحبِ الرسالةِ، ما نظمَ شيئًا مِن القرآنِ في شعرِهِ، وإنّماكانَ يَعْمِدُ إلى سلاحٍ أقوى وأشَدَّ، ولَسايَرَ القومَ في قَولِهِم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[الأنعام:٢٥]. ولهذا كلِّهِ نستبعِدُ أن يكونَ أُميّةُ قد استمَدَّ شيئًا مِن القرآنِ في شعرِهِ[٥٨].

وأمّا الرأيُ الثاني الذي يجعَلُ أُميَّةَ مصدرًا رئيسًا للقرآنِ، فيزعمُ أنَّ الرسولَ أخذَ عَن أشعارِ أُميّةَ بن أبي الصلت. فهذا الرأيُ لا يقومُ على أساسٍ علميٍّ؛ إذ لا يمكِنُ التسليمُ بهِ إلاّ بعدَ إثباتِ أنَّ ذلكَ الشعرَ الذي يلتقي معَ القرآنِ صحيحُ النسبَةِ إلى أُميّةَ، وأنَّهُ أسبَقُ منهُ زَمَنيًّا.

غيرَ أنَّ هذا الشعرَ ليسَ مِن الثابتِ أنَّهُ لأُميّةَ، ودراستُهُ تدُلُّ على أنَّــهُ موضــوعٌ فــي عصــرٍ إسلاميٍّ متأخِّرٍ عن زمنِ نزولِ الوحيِ وعن أُميّةَ مَعًا. ثُــمَّ إنَّ موقفَ أُميَّةَ مِن الإسلامِ لا بُدَّ أن يدفعَــهُ إلى الذَّودِ عن شعرِهِ، والتَّصريحِ بأنَّ الرسولَ يسرِقُهُ ويأخُذُ عنهُ، وكذلكَ قُريشٌ ما كانَتْ لتعقِدَ اللسانَ عن هذا الأمرِ، فلو أنَّها علِمَتْ أنَّ لأُميّةَ شعرًا يأخُذُ عنهُ الرسولُ لَمَلأَتِ الدنيا ولــم تُقْعِدْها بالتشنيعِ عليهِ، ولو أنَّ شيئًا مِن هذا قد صدرَ عن أُميَّةَ أو قُريشٍ ما كانَ الــرواةُ وأهــلُ الأخبارِ لِيُغْفِلُوهُ[٥٩].

وأمّا الرأيُ الثالثُ الذي رَدَّ التشابُهَ بينَ نصوصِ القرآنِ والشعرِ المُضافِ إلى أُميّةَ إلــى أخذِ الاثنينِ عن مصادرَ مكتوبةٍ مشتركةٍ على رأيِ المُستَشرِقِ الألمانيِّشولتهيسSchulthess، أو عن مصادرَ شفويّةٍ مشتركةٍ على رأيِ المُستَشرِقِ تيودورنولدكــةTheodor Nöldeke، فهــذا الرأيُ هو أيضًا لا يستنِدُ إلى أدِلَّةٍ منطقيّةٍ علميّةٍ؛ لأنَّ تلاقيَ المعاني الدينيّةِ معَ القرآنِ لا وجــودَ لَهُ في شعرِ أُميّةَ الموَثَّق، وإنّما هو في الشعرِ المُضافِ إليهِ، وبهذا تنتقِضُ مسألةُ البحــثِ عــن الأصلِ المشتركِ مِن أساسِها. وأمّا القولُ بأخذِ القرآنِ مِن مصادرَ مكتوبَةٍ، أو أحاديثَ شــفويّةٍ، فهذا لا دليلَ عليهِ لدى شولتهيسونولدكة وغيرِهِما سوى الاحتمالِ والافتراضِ، وهذا لــيسَ مِــن أدلَّةِ العلمِ في شيءٍ[٦٠].

وقد لَحِظْنا أنَّ هذهِ الآراءَ جميعًا قد بُنِيَتْ على أساسِ التلاقي بينَ القرآنِ وشِعْرِ أُميّةَ في القصصِ والمعاني الدينيّةِ، وبعضِ الألفاظِ، وأنَّ أصحابَ تلكَ الآراءِ لا يُمَيِّزونَ شعرَ أُميّةَ مِــن الشعرِ المصنوعِ المُضافِ إليهِ، ولو فرَّقوا بينَ هذا وذاكَ لانتَقَضَتْ آراؤُهُم جميعًا؛ لأنَّ التلاقــيَ في القصصِ، والمعاني الدينيّةِ، والألفاظِ، لمْ يكُنْ إلاّ في الشعرِ الموضوعِ المضافِ إلى أُميّةَ، لا في شعرِهِ الموَثَّق. وأمّا بعضُ القصصِ في الشعرِ الموثوقِ بهِ، كحديثِهِ عن الطُّوفانِ، فهذا بعيــدٌ في أسلوبِهِ عن القرآنِ، ولا تظهرُ فيهِ روحُ التراكيبِ القرآنيّةِ، ولا نجِدُ إسفافًا في أسلوبِ أبياتِهِ، ولا يُستَبْعَدُ أن يكونَ قد تأثَّرَ فيهِ بالتوراةِ[٦١]، أو بأحاديثَ شفويَّةٍ، وأساطيرَ شعبيَّةٍ كانَتْ شــائعَةً في عصرِهِ.

ومِنْ هنا ينبغي الحذرُ؛ لأنَّ مجرَّدَ التَّشابُهِ في الألفاظِ لا يكفي للبرهــانِ علــى أيٍّ مِــن الآراءِ المتَقَدِّمَــةِ، فإذا وجدنا تَشابُهًا مِن هذا الوجهِ بينَ أبياتٍ جاهليّةٍ وآياتٍ مِن القرآنِ، ولم يكُنْ هنالكَ إلحاحٌ ظاهرٌ على الاقتباسِ مِن القرآنِ لفظًا ومعنًى وأسلوبًا، فعلينا ألاّ نُسارِعَ إلى الحُكْــمِ بوَضْعِ هذهِ الأبياتِ، أو الحُكْمِ بتأثُّرِ صاحِبِها بالقرآنِ، أو تأثُّرِ القرآنِ بصاحِبِها[٦٢].

نتائجُ البحثِ

توَصَّلَ البَحْثُ إلى جُملَةِ أُمورٍ، أهَمُّها:

١. أَنَّ فُصَحاءَ المُشركِينَ لو كانوا يعتقِدونَ أَنَّ القُرآنَ شِعْرٌ وأَنَّهُ غيرُ خارجٍ عن أساليبِ كلامِهِم، لَبادَروا إلى معارضَتِهِ؛ لأنَّ الشعرَ مسخَّرٌ لهم، مُسَهَّلٌ عليهِم، فلمّا لم نَرَهُم اشتغلوا بذلكَ عُلِمَ أنَّهُم لم يعتقدوا فيهِ شيئًا مِمّا يُقَدِّرُهُ الضُّعَفاءُ في صَنعَةِ الشِّعْرِ وأَصحابُ النُّفوسِ المَريضَةِ.

٢. أَنَّ الرّاجِحَ عندَ مُحَقِّقِي العُلَماءِ أَنَّ البيتَ الواحِدَ وما كانَ على وزنِهِ لا يكونُ شعرًا، وأَنَّ أَقَلَّ الشِّعرِ بيتانِ فَصاعِدًا، وأَنَّ ما كانَ على وزنِ بيتينِ يختلفُ وزنُهُما أو قافيَتُهُما ليسَ بشِعرٍ، وأَنَّمِن أَهلِ العِلمِ مَن ذَهَبَ إلى أَنَّ الرَّجَزَ ليسَ بِشِعرٍ أصلاً، ولا سيَّما إذا كانَ مشطورًا أو منهوكًا، وكذلكَ ما كانَ يقاربُهُ في قلَّةِ الأَجزاءِ، وأَنَّ الشعرَ إنّما يُطلَقُ على ما قَصَدَ القاصدُ إليهِ عامِدًا، ولا يَصِحُّ أن يتَّفِقَ مِثلُهُ إلاّ من الشعراءِ، وأَنَّهُ قد قيلَ: إنَّ أقلَّ ما يكونُ منهُ شعرًا أربعةُ أبياتٍ، بعدَ أنْ تَتَّفِقَ قوافيها، ولم يتَّفِقْ ذلكَ في القرآنِ بحالٍ، فأمّا دونَ أربعةِ أبياتٍ منهُ أو ما يجري مجراهُ في قِلَّةِ الكلماتِ، فليسَ بِشِعرٍ.

٣. أَنَّ الكَثيرَ مِن المُستَشرِقِينَ، ومِنهُم مرجليوث، يَكتُبونَ كِتاباتٍ يَسعَوْنَ فيها إلى تَحقيقِ مَأرَبَيْنِ اثنَيْنِ؛ أحدُهُما الحَمْلُ على الشَّكِّ في الشعرِ الجاهليِّ؛ والآخَرُ مُضادَّةُ الإسلامِ مِن خِلالِ ادِّعاءِ أَنَّ الشِّعرَ ذُو شَبَهٍ بِالقرآنِ، وأَنَّ في القرآنِ أجزاءً لا يَشُكُّ في كونِها نثرًا مسجوعًا إلاّ المتعصِّبونَ جدًّا من المُسْلِمِينَ، وأَنَّ في القرآنِ أمثلةً لِكثيرٍ من بُحورِ الشعرِ.

٤. أَنَّ مِن أبرَزِ الشعراءِ الذينَ لُفِّقَ الشِّعْرُ عليهِم، ونُحِلوا شِعْرَ غيرِهِم الشاعِرَ المُخَضْرَمَ أُمَيَّةَ بنَ أبي الصَّلْتِ الثقَفيَّ، وأَنَّ مِن المستشرقِينَ الحاقِدِينَ على الإسلامِ مَن قَد استغلَّ تلكَ الأشعارَ المنحولَةَ، والمَشكوكَ في نسبَتِها إلى أُميّةَ؛ فحمَلَهُ التعصُّبُ على ادِّعاءِ أَنَّ القرآنَ مِن صُنعِ محمَّدٍ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ، وأَنَّهُ استمَدَّ مِن الحُنَفاءِ، أو أَنَّهُ وإيّاهُم استمَدُّوا مِن مَصادِرَ واحِدَةٍ. أمّا نُقّادُنا، فمُعظَمُهُم ذهبَ إلى أَخذِ أُميَّةَ عن القرآنِ تحدِّيًا أو اقتِباسًا.

هوامش البحث

(١) نكت الانتصار لنقل القرآن: ٢٨١.

(٢) وسردَ الأبياتَ الأربعةَ المذكورةَ آنفًا.

(٣) كتاب القوافي: ٥١-٥٢.

(٤) أي الأخفش.

(٥) هوَ رَضِيُّ الدِّينِ أَبو الفَضائلِ الحَسَنُ بنُ مُحَمَّدٍ الصّاغانيُّ المُتَوَفّى سنَةَ ٦٥٠هـ. وكِتابُهُ المَذكورُ مُعجَمٌ لُغَوِيٌّ عُنوانُهُ الكامِلُ (العُبابُ الزّاخِر واللُبابُ الفاخِر).

(٦) خزانة الأدب: ٥/٢٦٠.

(٧) في كِتابِهِ (شَرح أبياتِ سيبَوَيْهِ): ١/٣١٩.

(٨) أي الأسْوَدُ الغُنْدِجانِيُّ.

(٩) فُرحَة الأديب: ٧٨-٧٩.

(١٠) خزانة الأدب: ٥/٢٥٩-٢٦٢.

(١١) إعجاز القرآن للباقلاّنيّ: ٥١. وينظر: نكت الانتصار لنقل القرآن: ٢٧٢.

(١٢) إعجاز القرآن للباقلاّنيّ: ٥٣.

(١٣) البيت المشطور هو الذي حُذِفَ شطرُهُ، وبقيَ على شطرٍ واحدٍ. والمنهوكُ: هو الذي حُذِفَ ثُلُثا شطريه. يُنظر: المنهل العذب: ١٤٢.

وقد نقل القاسم بن ثابت السرقسطيّ في كتابه (الدلائل في غريب الحديث): ٣/١١٢٢-١١٢٣، عن الخليل بن أحمد الفراهيديّ قوله: "الرجزُ المشطورُ والمنهوكُ ليسا من الشعر. فقيل: فما هما؟ قال: أنصافٌ مُسَجَّعَةٌ. قال الليث: ولمّا ردُّوا على الخليل قولَه: إنَّ المشطور ليس من الشعر، قال الخليل: لأحتَجَّنَّ عليهم بحجّةٍ إن لم يُقرُّوا بها كفروا: أَنَّ رسولَ الله ﷺ كان لا يَجري على لسانه الشعر، قال: فكان النبيُّ ﷺ يقول:

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً ... وَيَأْتِيكَ مَنْ لَّمْ تُزَوِّدْ بِالأَخْبَارِ

وقد عَلِمْنا أَنَّ النِّصفَ الأوَّلَ الذي جرى على لسانه لا يكونُ شعرًا إلاّ بتمام النِّصفِ الثاني على لفظه وعروضه، فالرجزُ المشطورُ مثلُ ذلك النِّصفِ، وقد قال النبيُّ ﷺ:

هَلْ أَنْتِ إلاّ إصبَعٌ دَمِيْتِ

وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ

فهذا على المشطور، ولو كان شعرًا ما جَرى على لسانه؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿**وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ**﴾[يس:٦٩]. قال الليثُ: فعَجِبْنا من قوله حين سمِعْنا حجَّتَه".

(١٤) إعجاز القرآن للباقلاّنيّ: ٥٣-٥٥.

(١٥) تحرير التحبير: ٤٣٩-٤٤٠.

(١٦) تحرير التحبير: ٤٤٠.

(١٧) يعني لشبهه بقوله تعالى: ﴿**فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ**﴾[القمر:٢٩].

(١٨) يعني لشبهه بقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴾[القمر:٣١].

(١٩) يعني لشبهه بقوله تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾[القمر:١].

(٢٠) يعني لشبهه بقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾[الأنبياء:٩٦].

(٢١) يعني لشبهه بقوله تعالى: ﴿ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴾[الصافّات:٦١].

(٢٢) يُنظَر: الشعر المنحول– قضايا ونصوص: ٤٧.

وممّا يَجدُرُ التنبيهُ عليه أنَّ محقِّقِي أهل العلم أنكروا مسألةَ تعليقِ القصائدِ في الجاهليّة على أستار الكعبة، وأوّلُ أولئك: ابنُ النحّاسِ في مقدّمة شرحه للمعلَّقات (شرحُ القصائدِ التِّسعِ المشهورات): ٦٨٢/٢؛ إذ ردَّ مسألةَ التعليق بأنّ حمّادًا الراويةَ لمّا رأى زُهدَ الناس في الشعر جَمَعَ السبعَ، وحضَّهم عليها، فقالَ: هذه المشهوراتُ. أمّا تسميتُها بالمعلَّقات فقد يكونُ مردُّها إلى أنّها كالعِلْقِ النفيس، لكونِها أفضلَ الشعرِ القديمِ، أَو إلى ما أَورَدَهُ ابنُ النحّاس في كِتابِهِ المذكورِ آنِفًا، إذ قالَ: ٦٨٢/٢: "إنَّ العربَ كانَ أكثرُها يجتمِعُ بعُكاظ ويتناشدونَ، فإذا استحسَنَ المِلِكُ قصيدَةً قالَ: علِّقُوها وأَثْبِتوها في خِزانَتي".

(٢٣) يُنظَر: الشعر المنحول– قضايا ونصوص: ٤٨.

(٢٤) بحث (موقف مرجليوث من الشعر العربيّ): ٤٠٨.

(٢٥) أُصولُ الشِّعْرِ العربيّ: ٦٢–٦٣.

(٢٦) الأغاني: ١١٥/٣.

(٢٧) صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ.

(٢٨) صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ.

(٢٩) أصول الشعر العربيّ: ٦٣. وقد أحال مرجليوث في قصّة قُدام بن قادِم على المُستَشرِق غرِفِنيGriffini الذي تبيَّنَ لي، حينَ رَجَعْتُ إلى قائمةِ مَصادرِ بَحثِ مرجليوث، أَنَّ لهُ دراسَةً لِشِعْرِ هذا الشاعرِ النَّكِرَةِ قُدام بنِ قادِمٍ مَنشورةً في روما سنةَ ١٩١٨م.

(٣٠) تعليق محقّقي كتاب (الأغاني): ١١٥/٣.

(٣١) أي ببلالٍ رضي الله عنه.

(٣٢) (السيرة النبويّة) لابن هشام: ٣٩٢/١–٣٩٣. وإسناد ابن إسحاق مُرسَلٌ عن عروة. وروى القصّةَ أبو نعيم في (حلية الأولياء): ١٤٨/١، من طريق ابن إسحاق. وأوردها الذهبيّ في (سير أعلام النبلاء): ٣٥٢/١، معقِّبًا بقولِهِ: "هذا مُرْسَلٌ. ولم يعِشْ ورقةُ إلى ذلك الوقت".

[٣٣] (المستشرقون والشعر الجاهليّ) ليحيى الجبوريّ: ٨٣.

[٣٤] كتاب سيبويه: ٣٢٦/١. ونَسَبَ البيتَ إلى أميّةَ أيضًا الأعلمُ الشنتمريُّ في (النكت في تفسير كتاب سيبويه): ٣٧٣/١. والبيت– بعدُ– في (ديوان أميّة بن أبي الصلت): ٣٧٦، بالصيغة التي هو عليها في كتاب سيبويه.

[٣٥] تعليق الدكتور يحيى الجبوريّ على قصيدة ورقة في كتاب (أصول الشعر العربيّ): ٩٩.

[٣٦] يُنظَر: بحث (موقف مرجليوث من الشعر العربيّ): ٤٠٧–٤٠٨.

[٣٧] فتح الباري: ١٩٤/٧.

[٣٨] مقدّمة الدكتور عبد الحفيظ السطليّ لتحقيق ديوان أميّة بن أبي الصلت: ٢٩٢.

[٣٩] رواه البخاريُّ في صَحيحِهِ –معَ شَرحِهِ (فَتْح الباري)–: ١٨٨/٧، كتاب مناقب الأنصار، باب (أيّام الجاهليّة)، ح٣٨٤١، ومسلمٌ في صَحيحِهِ –مع شَرْحِ النَّوَويّ–: ١٥/١٥–١٦، كتاب الشعر، باب (في إنشاد الأشعار، وبيان أشعر كلمة، وذمّ الشعر)، ح٥٨٤٩.

[٤٠] قالَ النَّوَويُّ في شَرحِهِ على صَحيحِ مُسْلِمٍ: ١٥/١٥: "قَولُهُ ﷺ: هل مَعَكَ مِن شِعْرِ أُمَيَّةَ بنِ أبي الصَّلْتِ شَيْئًا؟: فهكذا وقَعَ في مُعظَمِ النُّسَخِ (شَيْئًا) بالنَّصْبِ، وفي بَعضِها (شَيْءٌ) بالرَّفعِ. وعلى روايةِ النَّصْبِ يُقَدَّرُ فيهِ مَحذوفٌ، أي: هل مَعَكَ مِن شِعْرٍ فتُنشِدني شَيْئًا؟".

[٤١] رواه مسلمٌ في صَحيحِهِ – مع شَرْحِ النَّوَويّ–: ١٤/١٥، كتاب الشعر، باب (في إنشاد الأشعار، وبيان أشعر كلمة، وذمّ الشعر)، ح٥٨٤٦.

[٤٢] رواه مسلمٌ في صَحيحِهِ – مع شَرْحِ النَّوَويّ–: ١٤/١٥–١٥، كتاب الشعر، باب (في إنشاد الأشعار، وبيان أشعر كلمة، وذمّ الشعر)، ح٥٨٤٧.

[٤٣] شرح النوويّ على صحيح مسلم: ١٥/١٥.

[٤٤] فتح الباري: ١٩٤/٧.

[٤٥] ينظر: البداية والنهاية: ٢٠٥/٢–٢١٣، وفتح الباري: ١٩٤/٧.

[٤٦] يُنظر: مادَّةُ (قصص): ٧٥/٧.

[٤٧] يُنظَر: مادَّةُ (قصص): ٩٨/١٨.

[٤٨] يُنظَر: البَحرُ المُحيطُ في التفسير: ٧٤/١٠.

[٤٩] يُنظَر: الإتقان في عُلومِ القُرآن: ٤٠٦/١.

[٥٠] يُنظَر: معجم مقاييس اللغة: ٢٣٦/١.

[٥١] ينظر: تفسير الرازيّ: ٢١٦/١٤.

[٥٢] يُنظَر: الأضداد: ٨٠.

(٥٣) يُنظَر: ٢٤/١.

(٥٤) يُنظَر: تفسير الطبريّ: ٣٦٢/٢.

(٥٥) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٤٠١/١؛ إذ جاء ذلك في سياق رواية السيوطيّ لمسائل نافع بن الأزرق.

(٥٦) مقدّمة الدكتور عبد الحفيظ السطليّ لتحقيق ديوان أميّة بن أبي الصلت: ٢٣٢-٢٣٨.

(٥٧) ينظر: البداية والنهاية: ٢٠٨/٢، وفتح الباري: ١٩٤/٧.

(٥٨) يُنظَر: مقدّمة الدكتور عبد الحفيظ السطليّ لتحقيق ديوان أميّة بن أبي الصلت: ٢٩٦-٢٩٨.

(٥٩) يُنظَر: مقدّمة الدكتور عبد الحفيظ السطليّ لتحقيق ديوان أميّة بن أبي الصلت: ٢٩٨-٢٩٩.

(٦٠) يُنظَر: مقدّمة الدكتور عبد الحفيظ السطليّ لتحقيق ديوان أميّة بن أبي الصلت: ٢٩٩-٣٠٠.

(٦١) في (طبقات فحول الشعراء) لابن سلاّم: ٢٦٢/١-٢٦٣: «كانأميّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ كثيرَ العجائبِ، يَذكُرُ في شعرِهِ خَلْقَ السماواتِ والأرضِ، ويذكُرُ الملائكةَ، ويذكُرُ من ذلك ما لم يذكُرْهُ أحدٌ من الشعراء، وكان قد شامَّ أهلَ الكتاب".

(٦٢) يُنظَر: مقدّمة الدكتور عبد الحفيظ السطليّ لتحقيق ديوان أميّة بن أبي الصلت: ٣٠٠-٣٠١.

قائمةُ المَصادِرِ والمَراجِعِ

- القُرآنُ الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ (ت٩١١هـ)، تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- الأَضداد، محمَّد بن القاسم الأنباريّ (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، د.ط، ١٩٦٠م.
- إعجاز القرآن، الباقلاّنيّ أبو بكر محمّد بن الطيّب (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: السيّد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط٥، د.ت.
- الأَغاني، أبو الفرَج الأصفهانيّ (ت٣٥٦هـ)، تحقيق: لجنة من الأُدباء، دار الثقافة، بيروت، د.ط، د.ت.
- الانتصار للقرآن، أبو بكر بن الطيّب الباقلاّنيّ (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: الدكتور محمّد عصام القضاة، دار الفتح، عَمّان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

– البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان محمَّد بن يوسف بن عليّ بن يوسف بن حيّان أثير الدين الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمَّد جميل، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤٢٠م.
– البداية والنهاية، أبو الفداء بن كثير الدمشقيّ (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد أبو ملحم وآخرين، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
– تاج العروس من جواهر القاموس، محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزّاق الحسينيّ، أبو الفَيض الملُقَّبُ بِمُرتَضَى، الزَّبيديّ (ت١٢٠٥م)، تحقيق: مجموعة من المحقِّقينَ، دار الهداية، د.ط، د.ت.
– تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع المصريّ (٦٥٤هـ)، تحقيق: الدكتور حفني محمّد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، القاهرة، د.ط، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
– تفسير الرازيّ: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمَّد بن عمر الملقَّب بِفخر الدين الرازيّ خطيب الريّ (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
– تفسير الطبريّ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمَّد بن جرير، أبو جعفرٍ الطبريّ (ت٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
– جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمَّد بن أبي الخطّاب القرشيّ، تحقيق: عليّ محمَّد البجاويّ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.
– حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانيّ (ت٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
– خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغداديّ (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
– الدلائل في غريب الحديث، أبو محمَّد القاسم بن ثابت السرقسطيّ (ت٣٠٢هـ)، تحقيق: الدكتور محمَّد بن عبد الله القنّاص، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٣، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
– ديوان أميّة بن أبي الصلت: جمعٌ وتحقيقٌ ودراسةٌ، صنعةُ الدكتور عبد الحفيظ السطليّ، المطبعة التعاونيَّة بدمشق، ١٩٧٤م.

– سيَرُ أعلامِ النُّبَلاء، شَمسُ الدِّينِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عُثمانَ الذَّهَبيّ (ت٧٤٨هـ)، تحقيقُ شُعَيب الأرنَؤوط وآخَرين، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ط٤، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
– السيرة النبويّة، ابن هشام (ت٢١٨هـ)، تحقيق: الدكتور همّام عبد الرحيم سعيد وزميله، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
– شرح أبيات سيبويه، أبو محمّد يوسف بن المرزبان السيرافيّ (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: الدكتور محمّد الريح هاشم، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
– شَرحُ الإمامِ مُحيي الدِّينِ النَّوَويّ (ت ٦٧٦ هـ)، على صَحيحِ مُسلِمٍ المسمَّى المِنهاج شَرح صَحيح مُسلِمِ بنِ الحجّاج– معَ صَحيح مُسْلِمِ بنِ الحجَّاجِ (ت٢٦١هـ)، تحقيقُ: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٥، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
– شرح القصائد التسع المشهورات، صَنعةُ أبي جعفر أحمد بن محمَّد النحّاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق:أحمد خطّاب، وزارة الإعلام، الجمهوريّة العراقيّة، د.ط، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
– الشعر المنحول، قضايا ونصوصٌ، الدكتور فضل بن عمّار العماريّ، مكتبة التوبة، الرياض، ط١.
– صَحيحُ البُخاريّ– معَ (فَتح الباري شَرح صَحيحِ البُخاري)، أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ إسماعيلَ البُخاريّ (ت٢٥٦هـ)، تحقيقُ: عبدِ العزيزِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ باز، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
– صَحيحُ مُسلِمٍ– معَ (شَرح الإمامِ مُحيي الدِّينِ النَّوَويّ المتَوَفَّى سنةَ ٦٧٦ هـ المسمَّى المِنهاج شَرح صَحيح مُسلِمِ بنِ الحجّاج)، أبو الحسَيْنِ مُسْلِمُ بنُ الحجَّاجِ النَّيْسابُوريّ (ت٢٦١هـ)، تحقيقُ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٥، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م
– طَبَقاتُ فُحولِ الشُّعَراء، محمَّدُ بنُ سَلاّمٍ الْجُمَحِيّ (ت٢٣١هـ)، تحقيقُ: محمود محمَّد شاكر، مطبعة المدنيّ، القاهرة، د. ط، د. ت.
– فَتحُ الباري شَرحُ صَحيحِ البُخاري، أحمدُ بنُ عليِّ بنِ حجرٍ العَسقَلانيُّ الشّافِعِيّ (ت٨٥٢هـ)، تحقيقُ: عبدِ العزيزِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ باز، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
– فُرْحَةُ الأديب في الردّ على ابن السيرافيّ في شرح أبيات سيبويه، أبو محمّد الأعرابيّ الملقّب بالأسود الغُنْدِجانيّ (كان موجودًا سنةَ ٤٣٠هـ)، تحقيق: الدكتور محمّد علي سلطاني، دار قتيبة، دمشق، د.ط، د.ت.

– القوافي، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (ت٢١٥هـ)، تحقيق: أحمد راتب النفّاخ، دار الأمانة، بيروت، ط١، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
– الكتاب– كتاب سيبويه أبي بِشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
– لسان العرب، محمَّد بن مكرم بن عليّ، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاريّ الرويفعيّ الإفريقيّ (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
– المستشرقون والشعر الجاهليّ بينَ الشَّكِّ والتوثيق، الدكتور يحيى وهيب الجبـوريّ، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
– معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، القاهرة، د.ط، ١٣٦٦هـ.
– المنهج العذب في الدراسة الأدبيّة والإعراب والبلاغة والعَروض والقوافي، الدكتور محمّد عليّ الهاشميّ، دار الأصمعيّ، سوريا، ط١، د.ت.
– موقف مرجليوث من الشعر العربيّ– بحث في ضمن (مناهج المستشرقين في الدراسات العربيّة والإسلاميّة)، الدكتور محمّد مصطفى هدارة، المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربيّ لدول الخليج، الرياض، د.ط، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
– نكت الانتصار لنقل القرآن، أبو بكر الباقلاّنيّ (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: الدكتور محمّد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندريّة، الإسكندريّة، د.ط، د.ت.
– النُّكَت في تفسير كتاب سيبويه، أبو الحجّاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأَعلَم الشنتمريّ (ت٤٧٦هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، المنظّمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.